رهاب الإسلام عند الغرب

محمد سيد رصاص *

تشكّل العالم الاسلامي بالتضاد والتصادم مع الغرب بفرعيه البيزنطي واللاتيني، فيما هذا لم يحصل شرقاً مع زوال الدولة الفارسية الساسانية بعد معركة نهاوند، ولا في الشمال الشرقي حيث لم يتشكل العالم الروسي إلّا في النصف الثاني من القرن العاشر مع نشوء دولة كييف الروسية. وهو أمر ينطبق أيضاً على افريقيا في الجنوب. كان وصول المسلمين إلى منتصف فرنسا إبان معركة «بواتييه» عام 732 ميلادي، أي بعد مئة عام من وفاة النبي محمد، هدفه (لو انتصروا في تلك المعركة) الوصول إلى روما البابوية، قلب العالم المسيحي. وهو ما فشل فيه قبلهم القائد القرطاجي هنيبعل في معركته ضد روما الوثنية. كان حصار المسلمين للقسطنطينية في أعوام 673 ـ 678 و717 ـ 718 أكثر رمزية من «بواتييه»، بعد أن دحر المسلمون البيزنطيين من بلاد الشام ومصر، وهاهم يحاولون اسقاط العاصمة البيزنطية المنافسة لروما قبل سقوطها عام 476، ومن ثم خليفتها السياسية.

في المقابل كان الاستيقاظ الغربي مترافقاً مع بدء الحروب الصليبية (1098 ـ 1291)، وقد أطلق بابا روما أوربان الثاني المبادرة نحو الدعوة إليها عام 1095 رداً على هزيمة البيزنطيين أمام السلاجقة في معركة منزيكرت عام 1071، ولكن متشجعاً بسقوط طليطلة من أيدي المسلمين عام 1085. يقول محمد أسد، وهو يهودي نمساوي اعتنق الاسلام في عشرينيات القرن العشرين، ما يلي: «في الحروب الصليبية حُرِّف اسم النبي محمد (محمد نفسه الذي ألح على أتباعه أن يحترموا أنبياء سائر الأديان) إلى mahound احتقاراً له وازدراء بالانكليزية (والألمانية hound أو hund تعني كلب... «الطريق إلى الاسلام»، دار العلم للملايين، بيروت 1964، ص23). أيضاً تشكل الوعي الفكري الرئيسي الحديث للكنيسة الكاثوليكية من خلال توما الاكويني (1225 ـ 1274) بالتضاد مع أفكار ابن رشد (1126 ـ 1198) وعبر محاربة الكنيسة للتيار الرشدي الذي انتشر وتوسّع في الغرب. لم يكن لسقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية بيد العثمانيين عام 1453 ذلك الأثر المدمر الذي كان ممكناً لو سقطت في حصار 717 ـ 718 على الغرب، حتى ولو ترافقت قبلها وبعدها مع سقوط البلقان واليونان ووصول العثمانيين إلى فيينا عام 1529 ما دام التوازن الاقتصادي قد اختل كثيراً لمصلحة الغرب مع اكتشاف القارة الأميركية ومع تحول التجارة عن الشرق الأوسط مع اكتشاف رأس الرجاء الصالح عامي 1492 و1497. كانت هزيمة العثمانيين عام 1571 في معركة ليبانتو في البحر المتوسط ثم هزيمتهم أمام مشارف فيينا عام 1683 بداية لاختلال توازن ما زال يعيشه العالم الاسلامي أمام الغرب حتى الآن، وبدأت فصوله الاحتلالية مع نابليون بونابرت وحملته المصرية عام 1798.

في عام 1917 مع سقوط القدس قال الجنرال البريطاني اللنبي: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، وبعد معركة ميسلون في 24 تموز 1920 ودخوله باليوم التالي محتلاً دمشق ذهب الجنرال الفرنسي غورو إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ووضع رجله على الضريح قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين». مع هذا لم يكن الاحتلال الانكليزي لبلدان العالم الاسلامي مرفوقاً بنزعة مضادة ثقافياً وسياسياً للاسلام بخلاف الفرنسيين الذين كانت فرنسا عندهم في الجزائر ليست مترافقة مع استبعاد اللغة العربية وتهميشها فقط بل مع نزعة تبشيرية مسيحية وعداء للاسلام. ويلاحظ هنا كيف في مذكرات سيمون دوبوفوار عن فترة 1944 ـ 1962 المعنونة بـ«قوة الأشياء» كانت تسمي الجزائريين ليس بصفتهم هذه بل باسم «المسلمين»، وفي المقابل في بلدان المغرب العربي يسمى المسيحي بـ«الرومي»، وتصيب المغاربة من بنغازي إلى الرباط الدهشة والحيرة عندما يرون مسيحياً عربياً. ويروى عن القذافي هذا أمام جورج حبش وأمام جورج صدقني وزير الاعلام السوري في فترة حرب 1973. هنا، من الأرجح بعد ما يقارب القرن على وعد بلفور الذي أصدره وزير الخارجية البريطاني أن دوائر الخارجية في لندن كانت تعي بأن زرع دولة يهودية في فلسطين سيؤدي إلى استيقاظ مضاد متمثلاً بنزعة اسلامية لم تنظر لها لندن بعين العداء لما ولدت في الاسماعيلية عند قناة السويس في آذار 1928 من خلال «الاخوان المسلمين»، وبأنه بعد فاصل عروبي قصير انتهى عملياً يوم هزيمة 5 حزيران 1967 بعد أن بدأ عقب هزيمة فلسطين عام 1948 ستبدأ مواجهة سياسية يوضع فيها «القرآن في مواجهة التوراة»، وهو ما يروى عن الرئيس اللبناني الياس سركيس بأنه حذّر بشير الجميل بأنه بتحالفه مع إسرائيل يضع «يسوع وانجيله» في أتون هذه المجابهة. لم يكن نمو «حماس» كبديل اسلامي من «فتح» منذ عام 1987، بعيداً من هذا كما يلاحظ

كان الاحتلال الفرنسي لبلدان العالم الإسلامي مترافقاً مع نزعة تبشيرية مسيحية وعداء للإسلام (أ ف ب)

فلسطين: كلّ قرار وأنتم بأمن

زهير أندراوس *

نستطيع القول، لا الجزم طبعاً، إنّ الإنسانيّة لن تغفر لكولومبوس اكتشافه أميركا عام 1492، فهذه الدولة العظمى، التي تتشدّق بالحريّة والتعدديّة، كانت وما زالت وستبقى رأس الأفعى في السواد الأعظم من الكوارث والمآسي والحروب التي عرفها التاريخ الحديث، وبما أنّ العلاقات الدوليّة محكومة وفقاً لموازين القوى، فإنّ الولايات المتحدّة ما زالت تتربّع على عرش المؤامرات ضدّ الشعوب المقهورة مدعومة بأمرين: الأول، هو الشغل لقرن كامل على التحوّل إلى إمبراطورية تمسك بخناق العالم بأسره، والثاني، مستعينةً بربيبتها حبيبتها الحركة الصهيونيّة الكولونياليّة وصنيعتها إسرائيل التوسعيّة، وأشباه الدول العربيّة، التي تحكمها النظم الرجعيّة، والمُستباحة من واشنطن وتل أبيب، سرّاً وعلانيّةً. وغنيٌ عن التذكير بأنّ تقاطع المصالح وتساوقها بين أضلاع الثالوث غير المُقدّس: الإمبرياليّة والصهيونيّة والرجعية العربيّة، تُمعن في تنفيذ المخططات الخبيثة الرامية إلى تفتيت وتمزيق ما تبقّى من الوطن العربيّ من محيطه إلى خليجه، لتكريس التبعيّة المُطلقة لأميركا من جميع النواحي، وفتح الطريق أمام دولة الاحتلال للإجهاز على القضية الفلسطينيّة، التي كانت قضية العرب المركزيّة، فتحولّت بقدرة غير قادرٍ من نعمةٍ إلى نقمةٍ، وبما أنّ سلطة أوسلو-ستان، التي يترأسها محمود عبّاس، تنتمي إلى معسكر الرجعيّة العربيّة، وبما أنّها تبنّت قولاً وفعلاً نظرية الرئيس المصريّ الأسبق أنور السادات، بأنّ 99 في المئة من أوراق الحلّ في أيدي واشنطن، وبما أنّها حوّلت الشعب العربيّ الفلسطينيّ من شعب الجبّارين إلى شعب المُتسوّلين (المعونات الاقتصاديّة)، فإنّ ما حصل في مجلس الأمن الدوليّ، الذي رفض المشروع العربيّ - الفلسطينيّ لإقامة دولة المسخ على 22 في المئة من أرض فلسطين التاريخيّة، كان بمثابة تحصيل حاصل. وهنا لا بُدّ من تأكيد أنّ القرار الرافض هو انتصار بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ لشرفاء فلسطين والعرب ولأحرار العالم الّذين ما زالوا يقبضون على الجمر، ويُطالبون بحقٍ، بتطبيق قرارات الشرعيّة الدوليّة، وفي مُقدّمها القرار 194، القاضي بإعادة اللاجئين الفلسطينيين الذين هجّرتهم العصابات الصهيونيّة خلال النكبة المنكودة، في واحدةٍ من كبرى الجرائم التي شهدها القرن العشرين، إعادتهم إلى ديارهم، لأنّ العودة، وهي من مفصليات الثوابت الفلسطينيّة، أهّم من الدولة.

■■■

الدبلوماسيّة الفلسطينيّة الأوسلويّة فشلت فشلاً مُدوياً في مجلس الأمن الدوليّ، ولكن مع ذلك، نميل إلى الترجيح، بأنّ القيادة الفلسطينيّة، التي فرضت نفسها على الشعب، كانت على علمٍ وعلى يقينٍ بأنّ مشروع القرار سيُرفض، ولكن السؤال الذي ما زال مفتوحاً: هل علمت هذه القيادة بأنّ أميركا لن تضطر لاستخدام حقّ النقض الفيتو؟ وإذا كانت على علمٍ فهذه مأساة، وإذا لم تكُن على درايةٍ فهذه كارثة، ذلك لأنّه لو أُلزمت واشنطن باستخدام حقّ النقض كانت ستُحرج وسترتبك، خصوصاً مع «حلفائها» من عربٍ وعجمٍ، الذين يُشاركون في الحرب الإفتراضيّة ضدّ تنظيم الدولة الإسلاميّة في كلٍّ من العراق وسوريا. في هذا السياق، لا غضاضة بالتذكير بأنّ نائب وزير الخارجيّة الإسرائيليّ السابق داني أيالون، رأى أنّ فشل مشروع القرار العربيّ ـ الفلسطينيّ هو انتصار للدبلوماسيّة الأميركيّة التي استطاعت إحباط مشروع القرار، من دون اللجوء إلى استعمال الفيتو، أيّ تنفيس ناعم لهجمة شكلانية. وأضاف أيالون، الذي شغل في السابق سفير تل أبيب في واشنطن، أنّ الولايات المتحدّة، وفي الفترة الأخيرة من حكم الرئيس باراك أوباما، عادت

> **الدبلوماسيّة الفلسطينيّة الأوسلويّة فشلت فشلاً مُدوياً في مجلس الأمن**

لتؤكّد للجميع بأنّها كانت وما زالت وربّما ستبقى دولة عظمى، ملتزمة سياسةٍ حازمةٍ وصارمةٍ ضد حقوق مختلف الأمم الضعيفة وإنْ أمكن القوية. أمّا في ما يتعلّق بالمصالح الأميركيّة التي دفعت واشنطن إلى انتهاج هذه السياسة، فقال أيالون في المقال الذي نشره في موقع «والاه» العبريّ الإخباريّ، إنّ واشنطن أرادت من وراء إفشال مشروع القرار توجيه رسالة إلى الجميع بأنّ ما يُطلق عليها العملية السلميّة بين الفلسطينيين والإسرائيليين هي من اختصاص الإدارة الأميركيّة فقط، وعدم السماح للأمم المتحدّة باتخاذ قرارات تؤثر سلباً في هذه السياسة الحصريّة، التي قد تؤدّي إلى إضعاف موقف أميركا في منطقة الشرق الأوسط. وعلى الرغم من علمنا بأنّ ساسة دولة الاحتلال يخوضون ضدّ الأمّة العربيّة حرباً نفسيّة، إلّا أنّه لا يُمكن التغاضي عن تحليل نائب الوزير أيالون، الذي يكشف عن الخبث الأميركيّ-الصهيونيّ من ناحية، وعن العجز العربيّ والذلّ الفلسطينيّ، من الناحية الأخرى، إذْ أنّ الإدارة في واشنطن لا تسمح بأيّ حالٍ من الأحوال، للساحر أنْ ينقلب على السحر، بكلماتٍ أخرى، السلطة الفلسطينيّة، التي كانت وما زالت تُعوّل على أميركا، لا يُمكنها بين ليلة وضحاها، أنْ تنتقل من معسكر الأصدقاء إلى معسكر الأعداء لبلد الشياطين الجُدُد، في ظلّ عدم وجود قوّة عظمى أخرى تدعم مطالبها، ولا نُبالغ البتّة إذا قلنا على نفسها جنت براقش.

■■■

عبّاس، الذي سيطر على جميع المؤسسات الفلسطينيّة، وبات الآمر الناهي، سارع إلى التوقيع على طلب للانضمام إلى محكمة الجنايات الدوليّة وإلى 19 اتفاقيّة أخرى، بهدف مُلاحقة إسرائيل ومُحاكمة قياديها من المستويين الأمنيّ والسياسيّ بتهم ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضدّ الإنسانيّة. قبل الولوج في هذه القضية، من الأهمية بمكان التذكير بأنّ عبّاس عينه، الذي يُريد مقاضاة مجرمي الحرب الإسرائيليين، يُواصل مع أجهزته الدايتونيّة التنسيق الأمنيّ مع الاحتلال، وهذا التنسيق، الذي يعتبره «الرئيس» مُقدّساً، هو أوّل تعاون بين الجلّاد والضحيّة، وعليه يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: لماذا لم يُعلن رئيس

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500 / 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري شركة بروموفيكس 01/788200
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ 666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper